Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اجتمع امرّ الله سبحانه ـ وهو فوق كل امر(*) ـ وامرّ الجغرافية، على ان تكون الحجاز هي المستقر الذي كان هاجس سيدنا ابراهيم يبحث عنه، ويريد بناءه للحفاظ على استمرار الرسالة. . فلو ان اسماعيل مكث مع اخيه اسحاق في فلسطين لانتهى عقبه وسط ضجيج وصراعات [الشرق القديم] ولاندثر «صفاء» نسله وسط امواج الهجرات والغزوات الارية من فرس وروم واغريق. . التي اكتسحت المنطقة. . اضافة الى صعوبة قيام دعوتين، وان كانتا تدعوان الى عبادة آله واحد في بيئة واحدة.ومما سيزيد من تعقيدها اجتهادات الاتباع التي تتفاوت بسبب قصر التصور حينا، وتضارب المصالح احيانا. . .

والواقع ان سيدنا ابراهيم منذ ان مكث في فلسطين عقب عودته من مصر اخذ يتطلع الى ماحوله ، وهو وان بدت له فلسطين دار سكن ، الا ان هاجسه النبوي كان يفتح افقه وينقله الى ابعد مما وصل اليه. . ولكن الانبياء محكومون بالمطلق من امر الله ، وليس بأمر سواه مثل بقية البشر. . ولعل بعضا من آيات القرآن الكريم تنبيء عن مثل هذا الهاجس الجوال الذي لايريم «واذْ قال ابراهيم ربِّ ارني كيف تحيي الموتى؟ قال اولم تؤمن ؟ قال بلىٰ ، ولكن ليطمئن قلبي، قال فخذ اربعة من الطيور فصرهن اليك، ثم اجعل على كل جبل منهم جزءاً، ثم ادعوهن يأتينك سعيا، واعلم ان الله عزيز حكيم»(1). وبرغم ان ظاهر الآية الكريمة يوحي بما هي عليه، الا انها تتضمن جدلا وتساؤلاً عن اشياء بعيدة يراد لها جواب. . . دون تصريح او فيها تصريح ضمني. . . وهو تساؤل المؤمن الذي يحب مَنْ آمن به، ان يوسع من ايمانه وعلمه بما غاب عن مداركه وتصوره. . .

ولاشك ان سيدنا ابراهيم منذ ان أمرٍّ بالرحيل مع هاجر واسماعيل الى مكة ، ادرك ان ارض القرار ببكة وليس في غيرها من ارض الله الواسعة، وهذا واحد من الاسباب لتردده بمعدل عشر سنوات مابين ارض كنعان وارض الحجاز، حتى بلغت عدد رحلاته ثلاثا او اربعا هي :ـ

١ . زيارته الاولى، حيث وضع زوجته هاجر وابنه اسماعيل، الذي كان عمره بين سنة وعامين.

٢ . في تحقيق رؤيته بذبح ابنه البكر اسماعيل، ففداه الله بذبح عظيم، وكان عمر اسماعيل قد تجاوز الاربعة عشر عاما تقريبا، «ربِّ هب لي من الصالحي ، فبشرناه بغلام حليم، فلما بلغ معه السعي، قال يابني اني ارى في المنام، اني اذبحك فأنظر ماذا ترى؟

(*) هناك تفسيرات لاتقع ضمن دائرة العلم التاريخي المحصور بين الاسباب والنتائج ، بشأن معطيات لايمكن القول فيها سوى انها من امر الله او القدر. . لانعدام الاسباب المباشرة والمنظورة في تفسير الحدث التاريخي لها. . وخاصة في حياة الانبياء. . . .

(١) الآية ٢٦٠ من سورة البقرة.